مقال له (في هآرتس، ٢/١٢/١٩٨٢، ص ٩) الى قلب القول المأثور المنسوب لابن ــ غوريون وهو أن الصهيونية كانت السقالة التي بنيت عليها اسرائيل، ومع إقامة هذه الدولة لم تعد هنالك حاجة لهذه السقالة، التي ينبغي تفكيكها. «حتى لو كانت المنظمة الصهيونية سقالة، فان [العقيدة] الصهيونية لم تكن كذلك. لقد كانت هي الهدف، هي نفسها وليس الدولة، التي كانت ولا تزال بمثابة أداة [لتحقيق الصهيونية]... ان دولة اسرائيل هي اليوم سقالة الصهيونية، وليس لأي منهما مغزى دون تهجير أكثرية الشعب الى صهيون». ولذلك «ليست الصهيونية هي التي ينبغي تصفيتها، بل الأدوات القديمة، والأطر الحزبية البالية والفاسدة التي ينشر مجرد وجودها العفن» (المصدر نفسه).

وفي مقابلة مع البروفسور انيتا شابيرا، أستاذة التاريخ اليهودي في جامعة تل أبيب، واحدى الباحثات البارزات في تاريخ الصهيونية، جاء «ان المؤتمر الصهيوني هو استعراض تمثيلية من ظواهر الماضي، لقد تغيرت عمليا كل أدوات اللعبة، وبالتالي مغزاها، وبقيت المظاهر الخارجية والطقوس فقط» (دافار، ١٠/١٢/١٩٨٢، ص ١٧). ولكن على الرغم من ذلك، لا زال هنالك مغزى للصهيونية حالياً، «فعملية جمع الشتات لم تستكمل، وأمن الدولة غير مضمون، ولا تزال الطريق طويلة أمام الاصلاح في الداخل»، ويفترض في انعقاد المؤتمر الصهيوني «أن يكون تعبيراً عن المصير المشترك بين الشعب [في اسرائيل] والشتات» (المصدر نفسه).

أما موشي أرنس، أحد قدامى زعماء الحزب الديني القومي (المفدال)، فقد دعا إلى «فهم الصهيونية حسب جوفرها: انقاذ الشعب اليهودي وبعثه في أرض ــ اسرائيل» (معاريف، ١٤/١٢/١٩٨٢، ص ٤)، وعندئذ توضع باقي النواحي في موضعها الصحيح. وأضاف آخر «أن أزمة الصهيونية في الثمانينات هي أولاً وقبل كل شيء أزمة المجتمع الاسرائيلي، أزمة الدولة نفسها» (اسحق بركاني، دافار، ٢٠/١٢/١٩٨٢، ص ١٠). فمنذ أن قامت اسرائيل، وراحت تتصرف ككيان مستقل، بان تأثيرها واضحاً على جوارها وعلى العالم الصهيوني. «ان اسرائيل فاشلة، منقسمة على ذاتها، وذات طابع سلبي في العالم هي ضربة مميتة للصهيونية... فلأول مرة في تاريخ الدولة [مثلاً]، تتصاعد أمواج اللاسامية في العالم، بسبب أعمالنا نحن بالذات» (المصدر نفسه). وبذلك اتضح لكثير من اليهود أن «دولتهم» ليست غير «درة فقط على حمايتهم من اللاسامية، بل أنها هي نفسها الباعث لهذه الآفة، وحتى في بلدان لم تعهدها من قبل.

ولكن على الرغم من كل هذه النواقص والافات، وربما بسببها، ينبغي الحفاظ على الحركة الصهيونية، وذلك للحاجة لها. «فحقيقة ان المؤتمر الصهيوني الثلاثين لم يكن مؤهلاً للتعامل مع مشكلات الصهيونية الاساسية في الثمانينات، لا تعني عدم وجود هذه المسائل، ولا تدل على فشل العقيدة التي تنبع منها... انها تدل على أن الحركة الصهيونية ــ وبلغة أخرى: الصهيونية ــ هي مسألة أكثر جدية من أن تترك في أيدي المتزعمين الصهيونيين» (عاموس كرمل، دافار، ٢٣/١٢/١٩٨٢، ص ١١). ولذلك «من المبكر نعي الصهيونية، بل ينبغي المطالبة باطر جديدة لها... تختلف كلياً عن تلك... التي شهدناها خلال المؤتمر الأخير» (المصدر نفسه). ثم ان برنامج القدس الصهيوني، الذي حل مكان برنامج بازل، «ليس ثورة، بل تتمة واستمرار، فالصهيونية لم تستنفد مهامها بعد» (جاييم حميئيل، هاتسوفيه، ٢٢/١٢/١٩٨٢، ص ١١).

واختتم أحدهم هذا النقاش بقوله: «لو افترضنا للحظة أننا 'أغلقنا دكان' الصهيونية العالمية، فماذا سيبقى لنا، وماذا سنستفيد من ذلك؟ (دوف بارنير، عل همشمار، ٢٠/١٢/١٩٨٢، ص ٣).

ولعل هذه الاعتبارات، من حيث ضرورة الاحتفاظ بالمنظمة الصهيونية العالمية وأجهزتها المختلفة نظراً للحاجة لها، ولعدم وجود أي بديل آخر، على رغم عدم الرضى العام فيما يتعلق بفعاليتها، هي التي تدفع الى استمرار الاهتمام بهذه المنظمة والعمل على «اصلاحها»، وان بانت الطريق طويلة وشاقة، وربما مسدودة.

صبري جريس